نحو تصوّر جديد لبناء معجم للّغة* العربيّة بهدف التّعليم والاستعمال

عبد الواحد خيري
جامعة الحسن الثاني
المغــرب

• في التّوليد المعجميّ

تمثل اللغة العربية إحدى اللغات التي تجمع الأصوات بالمعاني بشكل يدفع إلى إعادة النظر في فرضية اعتباطية الدليل التي افترضها فيرديناند دو سوسير. في هذا الإطار يرى جورج بوهاس G. Bohas أن اللغة العربية تعتمد في توليد مفرداتها على جذور ذات طبيعة ثنائية، أي تتكون من أصلين صامتين غير مرتبين، نرى أن استثمار هذه الفرضية في مجال بناء الكتاب المدرسي وخاصة المعجم يمكنه أن يلبي جملة من الحاجات والمتطلبات (requirements) التي يتوقف عليها وضع معجم أمثل (optimal) لمتعلمي اللغة العربية. وتمثل هذه الجذور أساس الجمع بين الصور والمعاني المعجم-تصورية (lexico conceptual).

*- يمثل هذا العرض تكملة لما قامت به الباحثة المرحومة "فاطمة أبركان" التي أهدي إلى روحها هذا العمل.

سنعرض في هذا المقال بعض الخطوط العريضة التي يمتاز بها هذا التصور نظريا وتطبيقيا، وهو يندرج في إطار جملة من الأعمال التي قدمها باحثون داخل الحلقة التي يديرها اللغوي جورج بوهاس، نذكر منهم ساكر 1999 وأبركان 2001 و2003.

من المعلوم أن البحث اللساني يهتم أولا وقبل كل شيء بمسألة الجمع بين الصوت والمعنى، وفي إطار بلورة ارتباط الأصوات بالمعاني في المعجم العربي، يعتبر بوهاس (1997) أن هذه اللغة العربية تعكس المعاني معجم-التصورية عن طريق جذور ثنائية، أي عن طريق جذور تتكون من صامتين غير مرتبين، كما تبين ذلك الصورة التالية :

1. (ص 1، ص 2) أو (ص 2، ص 1)

فكيفما كان ترتيب الصوامت، فإن المعنى المعجم-تصوري يبقى هو نفسه. إن هذه البنية الثنائية تخضع عند التوليد الصرفي إلى قواعد الملاءمة (adaptation) وإعادة التعديل (readjustment). تهتم قواعد الملاءمة بوضع الجذر الثنائي أو صهره في صورة صرفية أو قالب صرفي (morphological squeleton) يتمثل في الغالب في الصيغ الصرفية الثلاثية، حيث يتطلب الصهر توسيع هذا الجذر بإضافة وحدة صامتية تكون في الغالب مائعة أو مكررة لملاءمة الصورة قبل المعجمية (prelexical) بالصورة الصرفية في العربية، وتتم الإضافة بدمج (incrementation) الوحدة الصامتية في أول البنية أو في وسطها أو في آخرها كما تبين ذلك الصورة التالية :

2. (ص، ص، ص)

للتمثيل لهذا المعطى، نسوق المادة التالية الدالة على لون :

3. أخضـــر

إن دلالة مفردة مثل «أخضر» مثلا ترتبط بالجذر الثنائي /خ.ض/ كيفما كان ترتيب الخاء والضاد، وأما الراء فتعد في هذا التصور صامتا تكميليا لملاءمة المادة الصامتية لعدد مواقع الصورة الصرفية ثلاثية المواقع في اللغة العربية؛ إذ يشكل الثلاثي المتمثل في الصيغة [فعل] الصورة الغالبة والمطردة في العربية، (أنظر السغروشني بخصوص نظام الصيغ في اللغة العربية)؛ وأما همزة أخضر، فترتبط بالصورة الصرفية للوصف [أفعل]. ويعني هذا أن دور الراء والهمز يكمن في تكييف البنية الصامتية لتلائم البنية الصرفية أو القالب الصرفي موضع التوليد الصرفي. إن الجذر /خ، ض/ أو /ض، خ/ يرتبط بالبناء الدلالي التصوري نفسه والذي يمكن صياغته في الأولية الدلالية التالية، وهي أولية طرحتها المعجمية ويرزبيكا(1):

4. تعتبر الخاء والضّاد في اللّغة العربيّة حاملة لتصوّر النّبات وما يرتبط به طبيعيّا

يحتاج كل ما ينبت في الأرض أو يخرج منها إلى ماء، والماء في كل التصورات الأولية (primitives) يمثل، كما هو في الواقع، سائلا، وأينما وجد الماء يوجد النبات وتوجد الخضرة (vegetation)، في اللغة، نقول خضر لكل ما يشبه الخضرة ولكل ما يرتبط بالماء كما نقول خضخض لكل سائل نسقي منه، وهكذا في كل من ضخ وخضم وخضع ورضخ وما إلى ذلك من المواد التي ترتبط بالخاء والضاد. ويعتبر غير المقبول أو ما لا يقابل بناؤه تصورا يربط الصوت بالشكل توليدا حاملا لأحد مسببات

الاختلال في البناء كما سنوضح ذلك فيما بعد. إن أهم ملاحظة يمكن الاحتفاظ بها في هذا السياق هو أن المعاجم العربية أو على الأصح القواميس العربية لم تجمع بين كل هذه الاستعمالات، بل جعلتها على العكس من ذلك في مواقع مختلفة يصعب على المتعلم أن يضبط ما بينها من ارتباط معجمي وصرفي ودلالي وتصوري وصوتي كذلك. وهو الأمر الذي لا يعسّر فقط عمليات التلقين والتعبير وصقل المهارات بالنسبة للمتعلمين ولكن كذلك الانتباه إلى الخصائص النسقية للنظام اللغوي المراد التحكم فيه. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الأمر لا يعني اللغوي السليقي، لأن هذا الأخير لا يتكلم اللغة بالتعلم ولكن بالاكتساب، فهو لا يعود إلى المعجم المصنوع أي القاموس، ولكنه يُمنح أثناء الاستعمال من المعجم الذهني (mental lexical)، لأن نحوه يتم تعلمه بالحدس والفطرة[2].

يقود هذا التصور إلى القول بأن معجم اللغة العربية يتشكل ذهنيا في شبكات معجمية (lexical grid) يتم استحضارها بصورة لاواعية عند التكلم بالنسبة للسليقي، ويجب أخذها في الاعتبار في كل أنواع عمليات التلقين أو التدريس أو الترجمة أو وضع المصطلح أو التوليد المعجمي بالنسبة لمتعلمي هذه اللغة.

ولبيان دور الشبكات المعجمية في ضبط التعلم وتيسيره، نورد، قبل معالجة مادة هذا العرض وهي /ج، ن/، مثالا آخر من مادة لونية أخرى وهي /س. د/، حيث نلاحظ أن كل توليداتها المعجمية بصرف النظر عن ترتيب عناصرها ترتبط من حيث المعنى معجم-تصورى بالاختفاء وعدم الظهور كما تدل على ذلك : أسود التي تعني عدم الرؤية، وسد التي تعني الإغلاق ودس أساس اشتقاق دسيسة ودسائس وترتبط

جميعها بما يحاك في الظلام أي عدم الرؤية وهكذا دواليك بالنسبة لكل اشتقاقات هذه المادة[3].

سنركز في هذا العرض على توليدات الجذر المفترض /ج.ن/، إذا تأملنا المعاجم العربية، نلاحظ أنها تورد المداخل المعجمية التالية، وهي مداخل نعتبرها جميعها تحققا (checking) للجذر الثنائي المفترض: «جنن وسجن واجتن والجان والجنة والجنان وجنح وجناح والجُناح وجنف ونجذ وجني وجنى وجند وجنب وجَنَبَة ونجع وجنون وجنس ونجح وجانب ونجل ونجيب وجنز».

تحقق هذه المداخل المعجمية جميعها، فيما يبدو، معنى معجم-تصوريا يتصل بصورة أو بأخرى بدلالة تصور الانتقال المتبادل من وضع ظاهر إلى آخر باطن. وهو التصور الدلالي المعجمي الذي نعتبر أنه يرتبط في العربية لغويا بتحقق الجذر الثنائي /ج، ن/ بصرف النظر عن ترتيب الجيم والنون. ويتم توسيع هذا الجذر فيما يبدو بأحد أدوات التوسيع الصوتية التي تتوفر عليها العربية والتي تكون في الغالب صوتا مائعا مثل الميم والنون والراء والجيم والشين التي تتوفر أساسا على سمة الرنينية sonority أو صوتا مجانسا homophony في أحد سماته الجوهرية لأحد أصول الجذر أو صوتا يكرر الأصل الأخير من الجذر. ولا يمكن أن يتم تكرار الأصل الأول من الجذر الثنائي بضغط من مبدأ المحيط الإجباري[4] OCP.

5. يحقق الجذر /ج، ن/ معجميا تصور الانتقال المتبادل من وضع ظاهر إلى آخر باطن

انطلاقا من هذه الفرضية يمكن أن نقول إن تحققات الجذر /ج.ن/ يجب أن تظهر المعنى المعجم-تصوري النووي نفسه إما مباشرة أو عن طريق الطراز[5]. لنتأمل دلالة الكلمات التي تحقق في رأينا هذا الجذر، وهي جنن وسجن واجتن والجان والجنة والجنان وجنح وجناح والجُناح وجنف ونجذ وجني وجنى وجند وجنب وجَنَبَة ونجع وجنون وجنس ونجح وجانب ونجل ونجيب وجنز.

في هذا الإطار، نجد في مجموعة من المعاجم ما يلي :

يقول الزمخشري في أساس البلاغة في جنن : جنّه الليل : ستره فاجتن. واستجن بجنة استتر بها. واجتن الولد في البطن، وأجنَته الحامل. وتقول وكأنهم الجان وكأن وجوههم المجان. وجن عليه الليل، وواراه جنان الليل أي ظلمته. وفلان ضعيف الجَنان وهو القلب.

ومن المجاز، يتابع الزمخشري، ونخلة مجنونة شديدة الطول... وكأن ذلك في جنِّ صباه وجنِّ شبابه. ولقيته بجنِّ نشاطه وكأن ثمَّ جِنّاً تسول له النزعات. واتق الناقة في جنِّ ضراسها وهو سوء خلقها عند النتاج... ولا جِنَّ بكذا أي لا خفاء به.

الجنُّ والجنيُّ : الجن خلاف الإنس والواحد منه جني، سمي بذلك لأنه يخفى ولا يرى، ومنه قولهم : جني سقراط وهو الروح الذي يلهمه... قال بان سينا : «الجن حيوانات هوائية تتشكل بأشكال مختلفة»، ثم قال : «وهذا شرح الاسم» وقوله هذا شرح الاسم يدل على أن هذا الحد شرح للمراد من هذا اللفظ. وليس للجن في نظره وجود في الخارج. والمثبتون للجن يرون أن بعضها خيرة محبة للخير، وبعضها شريرة محبة للشرور والآفات. وقيل العقلاء ثلاثة أصناف : الملائكة والجن والناس،

فالملائكة خلقت من نور والإنس خلق من طين والجن من النار (المعجم الفلسفي، جميل صليبا ج 1. دار الكتاب اللبناني، 1982).

و«أما أصل الجن، فهو من الستر للشيء واختفائه عن مرأى العين. ويقال : جنه الليل وأجنه وجنّ عليه أي ستره وأخفاه». والجن يقال على الإطلاق للعالم الروحاني المستتر عن الحواس كلها بإزاء الإنسان (المعجم الفلسفي جميل صليبا، ج1، دار الكتاب اللباني، 1982).

الجنان : القلب لأنه يستر ما فيه من خواطر وتصورات.

المجن والمجنة : الترس الذي يجن صاحبه في الحرب ويحول بينه وبين وصول ضربات العدو له (أي يستتر به ليقيه ضربات السيف). وفي الحديث «الصوم جُنَّةٌ» أي وقاية حارسة للصائم من الرّفث والإثم. (المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج 1. دار الكتاب اللبناني، 1982).

الجنة : يقال «بستان ذي شجر، يستر بأشجاره الأرض... وقالوا وسميت الجنة السماوية جنة إما تشبيها بجنة الأرض وإن كان بينهما بون بعيد، وإما لستر نعمها عنّا، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : «فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرة أَعين جزاء بما كانوا يعملون». (المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج 1. دار الكتاب اللبناني، 1982).

الجنون : هو الخلل العقلي الشديد، وقيل هو زوال العقل أو فساده. تقول : جن جنونا : زال عقله، وجن به. ومنه : أعجب به حتى صار كالمجنون. ومادة الجيم والنون للإستتار، إلا أن معناها لا يخلو من الالتباس. وخير وسيلة لتوضيح المقصود منها إضافتها أونسبتها إلى لفظ آخر كقولنا جنون العظمة وجنون الاضطهاد وجنون السرقة...إلخ. (المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج 1. دار الكتاب اللبناني 1982).

جنح : ورد في مجمل اللغة : الجَنَحُ : جَنَح الليل : طائفة منه (والليل ظلام أي سواد أي اختفاء). ويقال جُنحٌ.

وجنح : مال وسمي جناحا الطائر لميلهما في شقيه. والجناح الإثم، لميله عن طريق الحق.

نجح : ورد في أساس البلاغة : نجحت طِلبته : فاز بها، وطلبتك ناجحة. وسمعتهم يقولون لمن طلب إليهم : نُجُحٌ أي تم مطلوبك وحصل. وأنجح اللّه طلبتك فنجحت. ومن المجاز تناجحت أحلامه تتابعت عليه رؤى صدق. وسير نجيح وشيك.

نجد : ورد في أساس البلاغة: أبدى ناجذه إذا بالغ في ضحكه أو غضبه ... ومن المجاز أبدت الحرب ناجذيها وعض على ناجذيه إذا بالغ أشده واستحكم. وعض في العلم وغيره بناجذه إذا أتقنه ومنه نجذته التجارب أحكمته.

جنف : ورد في مجمل اللغة : الجنف الميل، قال الله جل ثناؤه: فمن خاف من موص جنفا (أو إثما) [سورة البقرة، الآية 182]. ورجل أجنف إذا كان في خلقه ميل، ويقال : وهو طويل المنحنى. وورد في أساس البلاغة مادة [ج. ن. ف]، جنف في الوصية وجنف علينا في الحكم، وهو من أهل الحيف والجنف، ورجل أجنف : متزاور مائل في أحد شقيه وفي خلقه جنف.

جني : جنيت الثمرة واجتنيتها. وجنيت الجناية. وثمر جني : حين يجني. والجنأ : الاحدداب. يقال : رجل أجنأ (وأدنأ بمعنى واحد) وتجنأت عليه، إذا عطفت. والمجنأ : التُرس. (مجمل اللغة لابن فارس بن زكريا اللغوي، مؤسسة الرسالة ط 2، 1986، باب الجيم والنون وما يثلثهما).

جنب : الجنب : جنب الإنسان. والجنابة : البعد. قال [علقمة بن عبدة] :

فلا تحرمني نائلا عن جنابة [فإني امرؤ وسط القباب غريب]

والجنابة : مخالطة (الرجل) المرأة، ورجل جنب والجمع أجناب. والجَنَب : الذي نُهي عنه؛ أن يجنب الرجل [مع] فرسه عند الرهان فرسا آخر لكي يتحول عليه إن خاف أن يسبق على الأول. والجَنَب : أن يشتد عطش البعير حتى تلتصق رئته بجنبه، يقال (منه) : جنِب يجنَب. قال ذو الرمة :

كأنّه مستبان الشّكّ أو جنب

ورجل جُنُب : غريب. [...]. والمَجنَب : الخير الكثير. والجناب : الفناء. [وجنبت الدابة : إذا قدتها إلى جنبك، وكذلك جنبت الأسير]. وجنب القوم : إذا قلت ألبان إبلهم. والجنبة : نبت. وقعد فلان جنبة: إذا اعتزل الناس. والمجنب : الترس. (مجمل اللغة لابن فارس بن زكريا اللغوي، مؤسسة الرسالة ط 2. 1986، باب الجيم والنون وما يثلثهما).

جنح : الجنح : جِنح الليل : طائفة منه. ويقال : جُنح. وجَنَح : مال وسمي جناحا الطائر لميلهما في شقيه. والجُناح : الإثم لميله عن طريق الحق. وجنحت الإبل في السير : أسرعت. وجُنحَ البعير: انكسرت جوانحه من الحمل الثقيل، وهي أضلاعه. (مجمل اللغة لابن فارس بن زكريا اللغوي، مؤسسة الرسالة ط 2. 1986، باب الجيم والنون وما يثلثهما).

جنز : [قال ابن دريد] : جنزت الشيء أجنزه، إذا سترته، ومنه اشتقاق الجنازة. مجمل اللغة لابن فارس بن زكريا اللغوي، (مؤسسة الرسالة ط2. 1986، باب الجيم والنون وما يثلثهما).

جنف : الجَنَف : الميل، قال اللّه جل ثناؤه : ﴿فمن خاف من موص جنفا

(أو إثما)﴾ (سورة البقرة، الآية 182). ورجل أجنف إذا كان في خلقه ميل، ويقال : وهو طويل المنحني (مجمل اللغة لابن فارس بن زكريا اللغوي، مؤسسة الرسالة ط 2. 1986، باب الجيم والنون وما يثلثهما). وجنف في الوصية. وجنف علينا في الحكم، وهو من أهل الحيف والجنف، ورجل أجنف : متزاور مائل في أحد شقيه وفي خلقه جنف.

جند : جَنَد الجنودا : جمعها، «والأرواح جنود مجندة». والريح من جنود اللّه تعالى.

الجنين : وصف له ما دام في بطن أمه، قيل سمي بذلك لاستتاره (انظر مدخل الجنين، المصباح المنير).

الجفن : غطاء العين من أعلى ومن أسفل. وجفن نفسه : كفها عن الخبائث (لاروس).

جنأ : جنأ عليه جنوءا إذا انكب عليه [...]. وأرادوا أن يضربوه فتجانأت عليه أقيه بنفسي (انظر أساس البلاغة). وجنأ الفارس: أكب على سرجه ليتقي الطعن. وجنأ في عدوه : أسرع. (انظر لاروس). والمجنأ : التُرس («باب الجيم والنون وما يثلثهما»، مجمل اللغة لابن فارس).

جنح : جنحت الشمس للغروب، وجنح الليل : مال للذهاب أو المجيء. وجنح الطائر: كسر جناحيه للوقوع. (انظر أساس البلاغة). ورد في مجمل اللغة : الجَنَحُ : جَنَح الليل : طائفة منه (والليل ظلام أي سواد أي اختفاء). وقال جُنحٌ. وجنح : مال وسمي جناحا الطائر لميلهما في شقيه. والجناح الإثم، لميله عن طريق الحق.

جون : أجن الماء يأجن ويأجُن، إذا تغير (مجمل اللغة لابن فارس).

حجن: حجن حجونا بالدار: أقام بها لا يبرحها. وحجنته عن كذا صرفته (انظر أساس البلاغة ولاروس).

دجن : الدجنة الظلمة. ونحن في دَجن منذ أيام، وهو إظلال الغيم والندى. ومن المجاز : دجن بالمكان : أقام فلم يرُم ومنه دواجن البيوت. ودجنوا في لؤمهم : ألفوه فما تركوه. (انظر أساس البلاغة)

رجن : رجن بالمكان رجونا ودجن : أقام فلم يبرح. ورجنت الدابة فرجنت وهو أن تحبسها وتسيء علفها فتهزل. وتقول : نفسي بهذا البلد مسجونة، وذاتي مرجونة. (انظر أساس البلاغة).

جهنم : من أسماء النار (انظر لاروس). وتطلق النار على اللهب الذي يبدو للحاسة كما تطلق على الحرارة المحرقة [6].

المجن والجنة : جنَّ عليه من باب قتل ستره وقيل للترس (مجن) بكسر الميم لأن صاحبه يتستر به (انظر مدخل جنين، المصباح المنير). والمجن والمجنة: الترس الذي يجن صاحبه في الحرب ويحول بينه وبين وصول ضربات العدو له (أي يستتر به ليقيه ضربات السيف). وفي الحديث «الصوم جُنَّةٌ» أي وقاية حارسة للصائم من الرفت والإثم (انظر المعجم الفلسفي).

سجن : السجن : المحبس. وسجنه : حبسه في سجن. وسجن لسانه : منعه من الكلام. وسجن الهم : أضمره ولم يبثه لأحد. (انظر أساس البلاغة والمصباح المنير ولاروس).

نجا : نجا من الهلاك : خلص. وناجيته : ساررته (انظر المصباح المنير).

النجم : بالإضافة إلى معنى الكوكب، نجد النجم من النبات ما لا ساق له، والنجم من الشجر : ما لا ساق يعظم ويقوم به (انظر المصباح المنير).

نجو: استنجى : أصله الاستتار بالنجوة. والهموم تنتجي في صدره. وأصلبته النجواء : حديث النفس ونجواها. (انظر أساس البلاغة).

جهل : جهل الشيء جهلا وجهالة خلاف علمته. وجهل الحق : أضاعه (المصباح المنير).

جمم : جمجم في صدره شيئا : أخفاه. وسطح أجم : لا سترة له.

جمم النبت : كثر فغطى الأرض. ورعت الماشية الجميم وهو ما غطى الأرض من النبات وأجم لسانه من الكلام. وثور أجم : لا قرن له. انظر أساس البلاغة ولاروس).

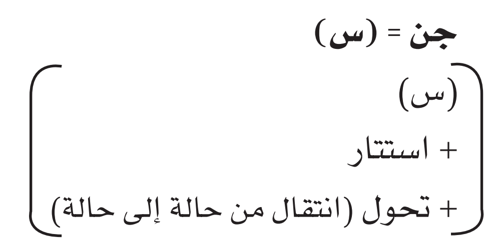
سجف : السجف : أحد السترين اللذين يرسلان على الباب. (انظر لاروس).

سجو : سجا الليل (يسجو) ستر بظلمته ومنه سجّيت الميت بالتثقيل : إذا غطيته بثوب ونحوه (والمصباح المنير). ومن المجاز : سج معايب أخيك (انظر أساس البلاغة).

إن هذه المداخل المعجمية جميعها ترتبط فيما بينها، وإن كانت متفرقة في أبواب المعجم وفصوله كوضع مدخل [جن] وجون وجنين وجان كلها في باب الجيم مع تشتيتها في فروع أو فصول هذا الباب بالنظر إلى المادة الثانية منه وكوضع مادة نجد أو سجف أو سجو تباعا في باب النون أو السين وهي أبواب لا علاقة معجمية لها بباب الجيم والعكس صحيح بالنسبة للبابين الأخيرين على سبيل التمثيل لا الحصر، مما يؤدي إلى تعدد المداخل في المعجم وتباعد المسافة بين مداخل المادة الواحدة، فيحتاج المتعلم ذي القدرة المعجم-لغوية المتميزة في كل مرة الانتقال إلى أبواب متفرقة لجمع دلالات المادة المعجمية الواحدة.

أضف إلى هذا أن المتفحص لأبواب المعجم سيصعب عليه استخلاص ما يجمع هذه الأبواب إن لم يضع في ذهنه الاعتبارات النظرية التي نحاول الآن تأسيسها. والخلاصة أن مداخل من هذا النوع لا تساعد على تعلم اللغة واختزان عدد مهم من مفرداتها وفتح نظامها المعجمي للتطور والإغناء، بل وتشكل في الواقع عائقا أساسيا أمام تحقيق هذه الحاجات، لتصير بعد ذلك حاجزا أو سدا منيعا أمام تعلم اللغة واكتساب مهاراتها وما تزخر به من إمكانات معجمية خلاقة ومانعا لكل تطور وانفتاح لغوي(7).

ويمكن أن نستنتج مما سبق الخلاصة التالية؛ يضم الجذر الثنائي باعتباره بنية قبل - معجمية معنًى تصوريا نوويا واحدا، ونجد هذا المعنى النووي واردا في جميع البنيات المعجمية المحققة التي تعتمد البنية قبل-المعجمية المفترضة أساس لها. ونفتح قوسا لنشير إلى أن العلاقة داخل الشبكة المعجمية المحققة قد تتم بطريقة مباشرة أي عن طريق أخذ السمات البارزة في المقولة أو عن طريق تغليب إحدى السمات التي قد تبدو سمة ثانوية؛ فإذا اعتبرنا أن سمات الجن هي كالتالي :



يمكن هذا التصميم السيماتي من إدراج جميع المعطيات السالفة في إطار تصور دلالي كبير (Macro Semantic). حيث يضم بالضرورة كل مدخل معجمي الجذر قبل-المعجمي /ج. ن/ على الأقل سمة من سمات النواة. إن الاختلافات التي توحي بها بعض المداخل المعجمية المولدة من الجذر الثنائي /ج، ن/ ترتبط بنوعية السمة الواردة في تحديد المفردة التي يمكن أن تكون السمة البارزة في الطراز التصوري أو السمة الثانوية أو كليهما معا. ولعل هذا الفصل هو فقط فصل منهجي إذ لا يمكن أن نتحدث عن المعنى داخل المعجم بدون الحديث عن طبيعته المقولية بالنظر إلى السمات المغلبة والسمات المغيبة.

• في التّوليد الصّرفي

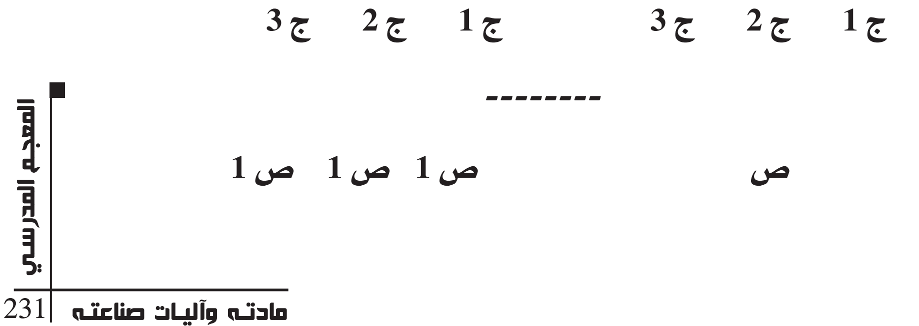
إن وصل البنية المعجمية الأولية المتمثلة في الجذر الثنائي بشكل المفردات أو صورتها الصرفية النهائية يقتضي وضع بيان صرفي يؤمن توليد الكلمة موضوع المعجم.

معلوم أن الكلمة العربية تبنى بالجمع بين مواد الجذر والصيغ الصرفية وذلك خلال تخصيص كل جذر ثنائي غير مرتب المواد لحقل دلالي تصوري معين. يعني هذا أن بناء الكلمة يتطلب دمج الجذر المفترض في هيكل صرفي يتكون في الغالب من ثلاثة مقاطع صوتية يتكون كل مقطع (segment) من صامت وصائت CV، كما يبين ذلك الشكل التالي :

CVCVCV

فبالإضافة إلى ضرورة دمج الصامت الثالث الذي يُوسع إليه الجذر كما تم بيانه سابقا، فإننا نرى، تبعا لعدد من الباحثين[8]، أن البنية الدلالية التصورية للجذر يجب أن تكون ملائمة للدلالات الجيهية (aspectual) التي تحققها الصوائت داخل بنية الكلمة لتوليد كلمة مقبولة، إذ لكل معنى معجمي تصوري مقابلات جيهية تتحقق معه، مثل التعدية (transitivity) والبناء (voice) والتطابق (agreement) والتمام (perfective) وعدمه (imperfective) والانفتاح (open) والانغلاق close وكل ما يميز الأنشطة (activities) والإنجازات (accomplishments) والأعمال (actions) وما إلى ذلك من أبنية مختلفة تميز صورة ومعنى الكلمات في اللغات الطبيعية. في هذا الإطار، نرى أن صوائت الجذر في العربية تحمل دلالات جيهية نحوية يلزم كشفها ليس فقط لتفسير عملية بناء الكلمات في العربية ولكن لتيسير تعلم هذه اللغة بتعلم كيفية بناء كلماتها التي تمثل أساس بناء عباراتها.

تمثل الصوائت (voyels) فيما يبدو تحققا لعدد من الجهات التي تؤمن بناء الكلمة في اللغة العربية وهي مثلا جهة البناء وجهة الامتداد (extension) والزمن (tense) والتطابق (انظر الفاسي الفهري، 1985). في هذا الإطار، يمكن تصور الكلمة العربية كالتالي حيث ج = جذر و ص = صائت :



من خلال تفحص النسق العربي نلاحظ أن بنية أو تحقق الصوائت يختلف من الأسماء إلى الأفعال سنغفل الآن مشكل الصفات لأنها تمثل فيما يبدو نوعا مقوليا أكثر تعقيدا من حيث الاشتقاق من الأسماء والأفعال[9]، وأما الحروف والظروف فنعتبرها أكثر نحوية منها معجمية[10].

وتقوم البنية الصائتية بوظيفة أساسية تتمثل في التمييز بين موَلَدات الجذر الاسمية وموَلَداته الفعلية حيث يكفي أن يحوز الجذر رأسا أو أن يعلو إسقاط مميز مقوليا (categorial specification) في شكل صائت ليتم دفعه إلى الطبقة التي يسمها المميز المقولي. ويكفي أن نورد المثال التالي لبيان هذه الآلية :

- ولــدُ
- ولــدَ

حيث إن الضم المنون أي إضافة /ن/ يقود الجذر إلى التموقع في رزمة الأسماء ويقود الفتح أو ما يسميه القدماء البناء إلى دفع الجذر نحو مجموعة الأفعال[11]. وهذا يدل على أن الصوائت تلعب دورا أساسيا في بناء الكلمات وفي تصنيفها في المعجم كما تلعب دورا أساسيا في بناء التعابير وبالتالي فهي تلعب دورا حاسما في تقوية التحكم في البناء اللغوي وفي استعمال اللغة.

يفترض عدد من الباحثين (انظر كيرون 1998، وخيري 1998) أن اللغات تنقسم إلى قسمين، لغات تمعجم الجهات المعجم، نحوية وأخرى لا تمعجمها. وتُستقى أو تُقرأ التعدية أو سعة الحدث في الفرنسية مثلا من الدلالة المعجمية وتُختبر أو تُراز في الاستعمال أو السياق أي في

التركيب من خلال توظيف جهة الامتداد مثال[12]:

- Jean mange des pommes
- Jean aime Marie
- Jean est en train de manger des pommes
- Jean est en train d’aimer Marie

يبدو من خلال التقابلات السابقة أن جهة سعة الحدث أو مدته من الناحية المعجمية والتصورية تلعب دورا أساسيا في تفسير السلوك النحوي للعبارات سالفة الذكر، ويعود لارتباط الحدث بالحركة (dynamic) أو السكون[13] (static)، حيث تلعب الحركة دورا أساسيا في سعة الحدث لأن لا حركة بدون مدة في حين يلعب السكون دورا أساسيا في لحظية الحدث الحالة. وعليه، فإن الجهات النحوية الدالة على السعة أو التدرج (forme progressive) لا يمكن أن تتصل بالأحداث الحالات لافتقار هذه الأخيرة إلى سعة المعجمية حيث لا سعة نحوية دون سعة معجمية لأن تحقق (checking) الأشكال الصرفية يتم عبر تلاؤم السمات أو الخصائص المعجمية والنحوية على حد سواء.

بالنسبة للغة العربية وما يشبهها من اللغات، نرى أن الصوائت التي تتصل بالجذر تحمل الدلالات النحوية الجيهية مثل البناء والسعة والزمن. لنتأمل العبارات التالية :

- أَكَلَ
- فَرِحَ
- كَبُرَ

تمثّل هذه البنيات تحققا لما يعرف في الأدبيات التقليدية بالصيغ الصرفية الثلاث المرتبطة بالثلاثي وهي :

- فعَل وفعِلَ وفعُل

ما يميز هذه الصيغ أن فعَل تدل على السعة في الحدث وتدل فعِل على حدث مجهري أو لحظي (ponctual) في حين تدل فعُل على الحدث الصيرورة (process)، كما تدل على ذلك الأمثلة التالية :

- ضرَب الرجل العبد ساعتين؛ أي مارس عليه فعل الضرب لمدة ساعتين.

- فرِح الرجل في ساعتين؛ أي مارس الفرح لمدة ساعتين.

- كبُر الرجل في ساعتين؛ أي مارس الكبر لمدة ساعتين.

إن لحن البنيتين الأخيرتين يعود إلى كون الأفعال لا تدل على سعة في الحدث ولهذا فهي لا تقبل أساليب السعة. وتبرهن العبارات التالية على هذا :

- يضرب الرجل العبد أي يمارس الضرب.

- يفرح زيد أي يمارس الفرح.

- يكبر زيد أي يمارس الكبر.

إن الصورة النحو/ صرفية للتدرج لا تلائم الأحداث اللحظية أو الصيرورة، لأن هذه الأخيرة تفتقد إلى السعة، بخلاف الأحداث الدالة على الحركة التي تقتضي السعة. فلا سعة في النحو إلا بسعة معجمية.

لتفسير هذا الأمر ترى أن الصوائت في العربية تختص بالجهات النحوية التالية :

ص 1 = يحقق + / − بناء

ص 2 = يحقق + / − سعة

ص 3 = يحقق = / − زمن وتطابق

من حيث البناء تناوب العربية بين الفتح والضم الذين يتعاقبان على ص 1. إذ للتعبير عن بناء الفاعل تحقق العربية الفتح في ص 1، وللتعبير عن غير الفاعل تحقق (checks) الضم في ص 1 كما تبين ذلك من الأمثلة التالية :

- ضَرَب
- ضُرِب

وأما من حيث السعة وغيرها، فتحققها العربية في حال الإيجاب بالفتح على ص 2 وبالكسر في حال السلب بالنسبة للأحداث اللحظية وبالضم في حال الأفعال التراكمية ذات دلالة الصيرورة[14]، كما تبين ذلك الأمثلة التالية :

- فرح الرجل
- كبر الطفل

ويعتبر عدم قبول البناء لغير الفاعل بالنسبة للأحداث الحالات والصيرورات أحد أكبر البراهين التي تدل على أن /ص 1/ مخصصة نسقيا للبناء و/ص 2/ مخصصة نسقيا للسعة كما تبين ذلك الأمثلة

التاليــة :

- فُرح

- كُبر

إن البناء لغير الفاعل يقلب العبارات من عبارة غير تامة (imperfect) أو مفتوحة (open) إلى عبارة تامة (perfect) أو منغلقة (closed) وذلك بقلب جهتها من السعة إلى اللاسعة. وربما أن الأحداث الحالات أو اللحظات تامة أو منغلقة، فإن قلبها بالبناء إلى التمام يعتبر ضربا من الحشو الذي تكرهه اللغات الطبيعية لما يسببه من لحن. ولهذا فإنَّ هندسة المدخل المعجمي تقود أساسا إلى بناء السياق (context) أو العبارة (expression)، وذلك بضبط الدلالة التصورية (conceptual semantic) وما يقتضيه تحققها من موضوعات (arguments)، وبضبط بنيات الصرف (inflections) التي تساعد على تحقيق (checking) قيم العبارة الدلالية والتصورية والنحوية بالمعنى العام[15].

• خلاصة

إن تعليم العربية يقتضي قبل تأليف الكتاب اللغوي المدرسي (المعجم مثلا) معرفة نظام بناء الكلمات واستعمالاتها في الصرف والتركيب مع تحقيق جميع قيمها الصرفية التي تضمن تعلم مختلف استعمالاتها الدلالية-التصورية المحققة والمحتملة.

الإحـالات

1- تعتبر ويرزبيكا (1988) أن الدلالة تستخلص معجميا من تحقيق الأوليات الدلالية (انظر للتفصيل : تطبيقات أبركان، 1955).

2- نحيل هنا على ثنائية مقدرة competence إنجاز performance وما ترتبطان به من حدوس intuition وأحكام (انظر لمزيد من التفصيل شومسكي 1957 و1965).

3- يمنع مبدأ المحيط الإجباري OCP تحقق سلاسل مثل ممد شدد بتكرار الصامت الأول /م. د/ و /ش. د/ (انظر لمزيد من التفصيل بوهاس 1989).

4- الطراز prototype يتم عبر المشابهة في الشكل أو في السلوك أو اللون أو الإيحاء، إلخ.

5- لقد قدمت أبركان 1995 لدراسة الطراز التصوري لمفهوم النار :

(س) = النار

أ. إن (س) تحدث، في بعض الأمكنة

ب. إن الناس يمكنهم، في الآن نفسه، أن يشاهدوا بعض الأشياء، في هذه الأمكنة

ج. إن الناس يمكنهم، في الآن نفسه، أن يحسوا، نظرا لوجود (س)، بشيء في هذه الأمكنة

د. إن الأشياء لا تبقى كما هي بعد انتهاء (س).

يتجلى من خلال هذه الصياغة، وخاصة من خلال المكون (د)، أن الدلالة ترتبط بالاختفاء، علما أن النار تذهب بكل شيء.

6- نلاحظ أيضا، بالنسبة لبعض العلاقات الموجودة داخل الشبكة المعجمية مثل مدخل جند، أن العلاقة بالطراز التصوري غير واضحة بالنظر للمعنى الظاهر، ولتوضيح هذه العلاقة نشير إلى أن وضع الجندي يفترض وجود جندي آخر في المواجهة وهو وضع يقتضي اختفاء أحد الطرفين. وهو ما يجعل هذه المفردة تندرج في إطار الانتقال بين مجالين، وهو الظهور والاختفاء.

7- المدخل المعجمي يدل تماما على الجهات النحوية التي يحققها مثل التدرج الذي يعتبر أحد تحقق الأعمال والأنشطة والإنجازات، ومثل الانتهاء أو التمام الذي يمثل تحققا للحالات.

8- هناك علاقة اشتقاقية بين الأفعال والصفات وتتمثل في الرجوع إلى الجذر نفسه. وأما علاقة الصفات بالأسماء فتتمثل في اقتسامهما التوزيع الصرفي inflections نفسه (انظر لمزيد من التفصيل : خيري، 1990).

9- الحروف مثل الصرف محدودة العدد بخلاف الأسماء والأفعال اللتين تمثلان طبقات مفتوحة.

10- يعرف الفعل عموما بصرف الزمن (جهة ووجه...) ويعرف الاسم بالحدود.

11- تعني لاحن.

12- انظر : زفارت، 1992.

13- انظر : خيري، 1998.

14- إن نظرية س-خط التي اقترحها النحو التوليدي لمعالجة البنيات التركيبية Syntactic Structures تنطلق أساسا من المدخل المعجمي وتتصل بالبنيات الصرفية التي يقتضيها تحقق المدخل. ولا تعتبر الدالة function المعجمية منقلبة إلى عبارة إلا بتحقق البنية الصرفية لمدخل المعجم مثل التعدية والزمن والتطابق والمصدري، إلخ.

المصادر والمراجع

- ابن عقيل، شرح الألفية، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- خيري، عبد الواحد (1992أ)، «ملاحظات حول نقل الرؤوس في العربية»، قضايا في اللسانيات العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن امسيك، الدار البيضاء، المغرب.
- خيري، عبد الواحد، (1992ب)، «بعض الملاحظات حول النقل في العربية»، قدم في ندوة اللغة والفكر والآداب والتربية بين المحلي والكلي، تكريما للأستاذ إدريس السغروشني، جمعية اللسانيات بالمغرب بتعاون مع كلية الآداب بالرباط، المغرب.
- خيري، عبد الواحد، (2002)، «العلاقة الصورية بين الفعل والزمن في اللغات الطبيعية»، منسوخ، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب بني ملال، المغرب.
- خيري، عبد الواحد،(قيد التحضير) أنواع المركب الاسمي في اللغة العربية»، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب بني ملال، المغرب.
- الفاسي الفهري، عبد القادر، (1986)، المعجم العربي، منشورات دار تبقال، الدار البيضاء، المغرب.
- الفاسي الفهري، عبد القادر، (1990)، البناء الموازي، منشورات دار تبقال، الدار البيضاء، المغرب.
- أبركان، فاطمة، (2002)، معجم الألوان في اللغة العربية : دراسة وتحليل، أطروحة دكتوراه بوحدة التكوين والبحث في علوم اللغة العربية، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب عين الشق، الدار البيضاء، المغرب.
- سيبويه، أبو بشر عمر بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1966.
- Abney,S, (1987), The English Noun Phrase in its Sentential Aspect , PhD, MIT.
- Amine, M, (1990), Stratégies de légitimation, thèse de Doctorat, université Paris VIII.
- Ayyoub, G, (1981), La phrase verbale en arabe standard, thèse de Doctorat de 3eme cycle, université de Paris VII.
- Chomsky, N, (1981), Lectures on Governement and Binding Theory, Forisd, Dordrecht.
- Chomsky, N, (1992),A Minimalist Program for the Linguistic Theory ? MIT Occasional Papers in Liguistic N° 1.
- Cinque, G, (1996) Adverbs and the Universal Hierarchy of Functional Projections, Oxford University Press.

- Fassi Fehri, A, (1982) Linguistique arabe : forme et interprétation, Pub Fac des lettres, Rabat, Maroc.
- Fassi Fehri, A, (1987), « Generalized IP structure, Case, Inflection and VS Word Order », ms, Fac, Rabat, Maroc.
- Khairi, A, (1990), Quelques aspects de la syntaxe du nom en arabe, thèse de Doctorat, Université Paris VIII.
- Khairi, A, (1998), Recherches en morpho-syntaxe verbale arabe, thèse de doctorat d'état,. université Cadi Ayyad, Maroc.
- Khairi, A, (2002), « Détermination et nominalité », ms, université Cadii Ayyad, Maroc.
- May, R, (1977), The Grammar of Quantification, PhD MIT.
- Vinet, M-T, (1996), « Copular Predication and Checking of Inflectional Features », in linguistique comparée et langues au Maroc, Pub, Fac des lettres, Rabat, Maroc.
- Williams, E, (1980) « Predication », Linguistic Inquiry.
- Zwart, J, (1992), X-bar syntax, X-bar Semantic : On the Interpretation of Functional and lexical heads, Utrecht, The Netherland.